ملوك البترول

مرقس صموئيل او لورد بيرستد

فيما ننشره من ترجمات هؤلاء الرجال شيء من الفكاهة لكنها ليست مقصودة بالذات وانما المقصود منها ما فيها من العبرة والحث على السعي والاجتهاد واغتنام الفرص

كيفما سرت في شوارع القاهرة رأيت اعمدة حمراء قائمة الى جانب الارصفة ارتفاع كلٍّ منها نحو مترين وقد كتب على كل منها كلمة Shell اي صدف تفتح فيتصبب البنزين منها في خزانات السيارات على قدر معلوم. واذا وقع نظرك على صفائح البترول رأيت على الكثير منها رسم صدفة مطلعة. فالبترول الذي فيها هو بترول الصدف. ولهذا الاسم تاريخ من اغرب تواريخ الاعمال الكبيرة

حدث في اوائل القرن الماضي ان يهودياً اسمهُ مرقس صموئيل استأجر بيتاً صغيراً في حيٍّ من افقر احياء مدينة لندن وجعل واجهتهُ دكاناً لبيع اللعب ونحوها ومؤخرهُ مسكناً لعائلتهِ. وذات يوم ذهب اولادهُ الى شاطئ البحر للنزهة فرأوا عليهِ كثيراً من الاصداف والحلازين المختلفة الاشكال والالوان وكان معهم صندوق صغير فيهِ طعامهم فلما اكلوا الطعام جمعوا الاصداف ووضعوها في الصندوق ثم الصقوها بظاهرهِ لما عادوا الى البيت. فرآهُ والدهم فسرَّ بمنظرهِ وخطر على بالهِ حينئذٍ ما لا يخطر الاَّ في بال رجل مستيقظ لاغتنام الفرص وهو ان يجعلهُ سبيلاً لعمل رابح. فجعل يصنع الصناديق الصغيرة ويلصق بها انواعاً مختلفة من الاصداف الجميلة ويبيعها فراجت سوقها وجعل الناس يشترونها ويتهادون بها ولكنهُ لم يكتفِ بذلك بل جعل يوزعها على الباعة في كل احياء لندن واقترن اسمها باسمهِ فالَّف شركة لعملها وجعل يجلب الاصداف من بحار الشرق. ثم وسع نطاق هذه التجارة واضاف اليها جلب مصنوعات اليابان التي من هذا القبيل. ولما نشأ ابنهُ مرقس صموئيل الذي صار لوردًا باسم لورد بيرستد كانت اعمال شركة بيت صموئيل قد اتسعت وانتشرت في كل البلدان وصار لها فروع في الهند الشرقية الهولندية وغيرها ومعاملات مالية كبيرة مع حكومة اليابان وصارت تتجر بالبترول تبتاعهُ وتبيعهُ وكان كلهُ من البترول الروسي الذي يستخرجهُ بيت روشيلد من باكو. لكن صاحب الترجمة لم يكتفِ بان يكون شارياً وبائعاً بل تطاول الى ان يكون مستخرجاً للبترول اي صاحب آبار يستخرج منها

وسنة ١٨٨٠ نال رجل هولندي اسمهُ مُنتن امتيازاً في بلاد بورنيو باستخراج البترول والفحم الحجري . وكانت تعوزهُ النقود فلجأ الى مرقص صموئيل هذا فرأى فيهِ ضالتهُ التي كان يشدها والف شركة هندية هولندية بمعاضدة بيت روتشيلد لاستعمال هذا الامتياز فاتسع نطاقهُ رويداً رويداً حتى شمل ٥٠٠ ميل مربع اي اكثر من ٣١٧ الف فدان وجد فيها البترول غزيراً ووجد فيها ايضاً التليوين وهو من اقوى المتفجرات التي استعملت في الحرب العالمية . وصار في طاقة مرقس صموئيل ان يناظر شركة وكفلر (ستندرد اويل كمبني) في البلدان الشرقية اذ صار في يدهِ زمام البترول الروسي والبترول الهندي واهتم حينئذٍ بامر النقل لان البترول كان ينقل في البحار بالبراميل والبرميل الذي يسع مائة اقة يبلغ ثقلهُ ٣٥ اقة فتضاف اجرة نقلهِ الى ثمن البترول . وخطر على بال رجل المالي ان يستعمل لنقل البترول سفينة فيها حوض كبير يملأ بترولاً ولم يسجل ذلك فاقتبس صموئيل وشركاؤهُ هذا الفكر وبنوا سفينة كبيرة لهذا الغرض سنة ١٨٩٢ وكانت اول سفينة ذات حوض للبترول مرَّت في ترعة السويس . ومن ثمَّ اكثرت شركة صموئيل من بناء السفن ذات الحياض التي تنقل البترول وانشأت لذلك شركة خاصة سنة ١٨٩٧ سمتها شركة الصدف للنقل والتجارة

وكان في تجارة البترول رجل همام اسمهُ دِتردنج كان مديراً لشركة البترول الهولندية الملكية في سنغافورة وقد ناظر شركة الستندرد الاميركية ولكن كانت تعوزهُ وسائل النقل فلما بنى مرقس صموئيل هذه السفن اتفق معهُ على نقل بترولهِ من سومطرة وجاوى الى الصين وغيرها من بلدان المشرق ومن ثمَّ اتسع نطاق شركة الصدف الهولندية الملكية وعمَّ البلدان الشرقية فناظرت شركة وكفلر قبلما تمكنت هذه من انشاء السفن الكثيرة لنقل بترولها . وكانت بلاد الصين ميدان المناظرة الاَّ ان روتشيلد بادر لمعاضدة دتردنج كما عاضد مرقس صموئيل وانضم اليهم اغنياء اليهود في فرنسا والمانيا وساعدتهم الحكومة الانكليزية فامتدَّ عمل شركة الصدف الى اميركا فانشئت شركتين جديدتين ضمتا شركات كثيرة اشترتها شركة الصدف الهولندية . وقد كانت شركة الصدف هذه تملك في اميركا منذ عامين ٢٤١ الف فدان من الارض فيها ٤١١٤ بئراً يخرج منها ٤٦٠٠٠٠٠٠ برميل من البترول في السنة ولها هناك خمسة معامل لتكرير

والخلاصة ان امراً طفيفاً مثل الصاق الاصداف على صندوق صغير اوحى الى رجل واسع الحيلة فانشأ هو ونسلهُ عملاً من اوسع الاعمال التجارية والصناعية واوفرها ربحاً